

(11) الإسلام والإيمان



قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
[الحجرات: 14]

سبب نزول الآية :

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن نفرًا من بني أسد قدموا المدينة في
سنة جدبة [1]، فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا



أسعارها، وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : أنتك العرب بأنفسها على ظهور رواحها، وجئناك بالآثقال والذراري، يريدون الصدقة ، ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فنزلت هذه الآية الكريمة [2].

فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم ، فقال : (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن ” ولكن قولوا : “أسلمنا“.

معني الآية الكريمة :

{ قالت الأعراب آمنا } الأعراب اسم جمع لأعرابي، والأعرابي هو ساكن البادية كالبدوي تماماً ، جاءوا إلى النبي فقالوا آمنا آمنا، افتخروا بإيمانهم، فقال لهم الله – عز وجل – : { قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } فهم كانوا ضعفاء الإيمان ، وليسوا بمنافقين على الراجح ، ولو كانوا منافقين – كما ذكر بعض العلماء كالبخاري – لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة التوبة .

فقوله (قل لم تؤمنوا) يعني لم تصدقوا أقوالكم بأعمالكم.

قوله: { ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } أي لما يدخل الإيمان الدخول الكامل المطلق، ففيهم إيمان لكن لم يصل الإيمان في قلوبهم على وجه الكمال .

وقوله { ولما يدخل } ولم يقل: (ولم يدخل)، قال العلماء: إذا أتت (لما) بدل (لم) كان ذلك دليلاً على قرب وقوع ما دخلت عليه، فمثلاً إذا قلت: (فلان لما يدخلها) أي أنه قريب منها، ومنه قوله تعالى: {بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب } أي لم يذوقوه، ولكنهم قريبون منه، وهنا قال: (ولما يدخل) أي لم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد، ولكنه قريب من الدخول.

فقوله: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) يدل على أن دخول الإيمان منتظر منهم، فإن الذي يدخل في الإسلام ابتداء لا يكون قد حصل في قلبه إيمان، لكنه يحصل فيما بعد.

وفي الحديث عن أنس قال: “كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو قومه، وكان الرجل يُسلم رغبة في الدنيا، فما يُمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس.” قال الحافظ ابن حجر في الفتح كتاب المغازي: “رواه أحمد بسند حسن.”

ولهذا كان عامة الذين أسلموا رغبة أو رهبة دخل الإيمان في قلوبهم بعد ذلك .

قوله {وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً } إن أطعتم الله ورسوله بالقيام بأمره واجتناب نهيه فإنه لن ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، فالسيئات يمكن أن تمحى، والحسنات لا تنقص.

ولهذا قال: { لا يلتكم من أعمالكم شيئاً } أي لا ينقصكم.

{إن الله غفور رحيم} ختم الآية بالمغفرة والرحمة، إشارة إلى أن هؤلاء الذين قالوا إنهم آمنوا، قريبا من المغفرة والرحمة، لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولكنه قريب من دخوله.

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]

إنما أداة حصر تفيد إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه، أي ما المؤمنون إلا هؤلاء ، والمراد: المؤمنون حقاً الذين تم إيمانهم هؤلاء وحدهم الذين آمنوا بالله ورسوله .

وقوله تعالى (لم يرتابوا) أصله رابه أي أوقعه في الشك والتهمة .

(وجاهدوا) المجاهدة : معناها استفراغ الجهد في مدافعة العدو ، والجهاد يشمل جهاد العدو الظاهر وجهاد النفس .

{ أولئك هم الصادقون } في إيمانهم وعدم ارتيابهم .

اشتملت الآية الكريمة على :

- قضية الإسلام والإيمان .
- المؤمنون الصادقون .

أولا / الإسلام والإيمان

الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والخلاص من الشرك .

والإيمان هو: التصديق بالقلب الذي يتبعه العمل، أو كما قال العلماء: القول باللسان، والتصديق بالجنان (بالقلب)، والعمل بالجوارح والأركان.

ولا يكون المرء مؤمناً إلا إذا كان مسلماً، فيجتمع فيه عمل القلب – وهو الإيمان – وعمل الجوارح وهو الإسلام.

ويدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً . فقال سعد رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلم ؟ حتى أعادها سعد ثلاثاً : والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ؟ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب إليّ منهم فلم أعطه مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم .) رواه البخاري

فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام والإسلام أعم وأشمل

كلام ابن تيمية في تعريف الإسلام والإيمان



قال - رحمه الله -: الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين ديناً، إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلماً، ومن لم يعبد بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له . [3]

اجتماع الإسلام والإيمان وافتراقهما

في هذه الآية الكريمة فرق بين الإسلام والإيمان، وكذلك في حديث جبريل عليه السلام فرق بين الإسلام والإيمان، ففي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت). وفي الإيمان قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»

ففرق بين الإسلام والإيمان، وفي أدلة أخرى يجعل الله الإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان، فهل في هذا تناقض؟

والجواب: كلا، فإذا قرن الإسلام بالإيمان صاراً شيئين، وإذا ذكر الإسلام وحده، أو الإيمان وحده صاراً بمعنى واحد، ولهذا نظائر في اللغة العربية كثيرة.

ولهذا قال أهل السنة والجماعة: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، يعني إذا ذكرا في سياق واحد فهما شيئان، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فهما شيء واحد.

أمثلة للتوضيح :

قوله - تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فيشمل الإيمان والإسلام.

ومثل قوله - تعالى - : (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102] أي مسلمون مؤمنون.

ويدل على هذا أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم عدد أعمالاً هي من الإسلام، وجعلها من الإيمان فقال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله» مع أنها من الإسلام، قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله». «وأدناها إمطة الأذى عن الطريق».

وإمطة الأذى عن الطريق من الإسلام؛ لأنها عمل، والأعمال جوارح «والحياء شعبة من الإيمان» وهذا في القلب، فالمهم الإيمان والإسلام إذا افترقا فهما شيء واحد، وإن اجتمعا فهما شيئان.

قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من



المسلمين) [الذاريات:35، 36]

نلاحظ أنه عندما ذكر الإخراج قال: من المؤمنين، وفي التالية قال: المسلمين ؟
ما سر التغاير ؟

الآية موافقة لهذا المعنى في وصف أهل بيت لوط عليه السلام مرة بالإيمان ومرة أخرى بالإسلام.

فالمراد بالإسلام هنا الإسلام الظاهر ، والإيمان هو الإيمان القلبي الحقيقي ، فلما وصف الله تعالى أهل البيت جميعاً وصفهم بالإسلام ، وذلك لأن امرأة لوط عليه السلام من أهل بيته ، وكانت مسلمة في الظاهر ، كافرة في حقيقة الأمر، ولما وصف الله تعالى المخرجين الناجين وصفهم بالإيمان . (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) [الذاريات:35، 36]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :”امرأة لوط كانت منافقة كافرة في الباطن ، وكانت مسلمة في الظاهر مع زوجها ، ولهذا عُدَّتْ بعذاب قومها . فهذه حال المنافقين الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستسلمين له في الظاهر ، وهم في الباطن غير مؤمنين” [4]

ثانيا / المؤمنون الصادقون

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]



في الآية بيان لحقيقة الإيمان وصفة المؤمنين الصادقين قولاً وعملاً فالإيمان ليس كلمة تقال وإنما قول يتبعه عمل .

فالمعنى : ليس الإيمان ما زعمتم وظننتم من قول لا يوافقه عقد القلب وادعاء لا تصدقه الأعمال ولم تشهد له الطاعة بالبرهان ، بل الإيمان الحق عند الله تعالى ، إنما هو التصديق الذي لا أثر فيه للشك بل هو يملأ القلب فتظهر ثمراته على الجوارح بالطاعة ، وأداء ما فرضه عز وجل من التكاليف البدنية كالصلاة والصوم والتكاليف المالية كالزكاة والحج ، والتضحية بالنفس، والمال في سبيل الله؛ من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ، وتمكين الحق ، ودفع البغي، فهؤلاء المتصفون بهذه الخصال العاملون لها هم الصادقون إذا قالوا آمنا .

الإيمان يقين لا يعتريه الشك :

الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن؛ فكيف إذا دخله الشك ، فاشتراط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا ، فأما المرتاب فهو من المنافقين .

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ” أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا
 دخل الجنة “

وفى رواية لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة“.



وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بنعليه فقال ” من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ”

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط .

فمجرد القول والمعرفة ليس كافياً، بل لابد من القبول واليقين الذي لا يعتريه شك، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن عمه أبي طالب أنه في النار، وذلك مع أنه يعرف صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان يقول :

ولقد علمت أن دين محمد — — خير أديان البرية دينا

لكنه والعياذ بالله لم يقبل هذا الدين، ولم يذعن له، وكان آخر ما قال: إنه على الشرك على ملة عبد المطلب ، فالذين آمنوا بالله ورسوله، هم الذين أقروا إقراراً تاماً.

فالمؤمنون الصادقون استمروا على التصديق والإذعان للحق ولنبي الحق صلى الله عليه وسلم ولم يعترضهم الريب والشك بعد ذلك ، لأن المؤمن قد يبتلى بمن يضلله ويقذف في قلبه الشك من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .



فالمؤمنون الأطهار يبتعدون عن مثل هؤلاء المفسدين المشككين للناس في عقائدهم ، ولذلك فهم المؤمنون الصادقون الذين رضي الله عنهم وأرضاهم وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، والآخرة ، وهم المجاهدون بأنفسهم وأموالهم والمرابطون على الثغور حماية لبلاد الإسلام وأمة الإسلام ، وهذا هو الجهاد بالنفس ، أما الجهاد بالمال فيشتمل على جميع النفقات التي تبذل لنشر دين الإسلام .

والجهاد الحق هو الجهاد الخالص لوجه الله تعالى ولإعلاء كلمة الله وحده لا يقصد من وراءه مغنم دنيوي

عن أبي موسى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل للمغنم والذكر ، فمن في سبيل ، فقال صلى الله عليه وسلم : ” من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ” .

فإذا اختلطت نية الجهاد بمقصد آخر كحب الظهور والشهرة بين الناس في الشجاعة أو لكسب المغنم والأموال فليس له جزاء عند الله تعالى؛ بل يحبط عمله لأنه لم يخلص لوجه الله تبارك وتعالى .

ويمكن أن تعتبر الآيتان اللتان وردتا في سورة الممتحنة دستور الإسلام في القتال: قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى



إِخْرَاجُكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩-٨﴾ [الممتحنة: 8-9]

هل الوسواس تنافي اليقين في الإيمان ؟

الوسواس التي يلقيها الشيطان في قلب المسلم ، عليه أن يستعيذ منها بالله من الشيطان الرجيم، وينتهي، ويعرض عن هذا، ولا يفكر فيه إطلاقاً، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن مثل هذه الوسواس صريح الإيمان، أي خالص الإيمان، لأن الشيطان لا يأتي للإنسان الشاك يشككه في دينه، وإنما يأتي لإنسان ثابت مستقر، ليشتكه في دينه، فيفسده عليه ، فالمؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه واطمأن قلبه بالإيمان هو الذي يأتيه الشيطان ليفسد عليه، أما من ليس بمؤمن فإن الشيطان لا يأتيه بمثل هذه الوسواس، لأنه منته منه.

أهم ما يستفاد من الآيات:

1. الإسلام هو الاستسلام الظاهر لله بالطاعة بينما الإيمان هو التصديق القلبي الذي يتبعه العمل.
2. الإسلام أعم والإيمان أخص فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً.
3. الأعراب الذين ادعوا الإيمان لم يكن في قلوبهم إيمان كامل وإنما كان إسلاماً ظاهراً.
4. استخدام (لما يدخل الإيمان) يدل على قرب تحقق الإيمان في قلوبهم وأنهم على طريق الخير.
5. الفرق بين المسلم والمؤمن يظهر في المواقف والنيات والطاعة

والإخلاص.

6. الله لا يضيع عمل المطيعين وإن كانوا في بداية الطريق فهو غفور رحيم.
7. الإيمان الحقيقي يتطلب تصديقا و يقينا بلا شك يتبعه جهاد بالمال والنفس.
8. المؤمن الصادق لا يشك في دينه بل يطمئن به ويجاهد في سبيله.
9. مجرد النطق بالشهادتين لا يكفي للدخول في زمرة المؤمنين حتى يتحقق التصديق القلبي والعمل.
10. الوسوس لا تنافي الإيمان بل هي دليل عليه لأن الشيطان لا يوسوس إلا لقلب عامر بالإيمان.
11. الإيمان يعلو على النسب والجاه والمظاهر فإله يطلع إلى القلوب لا الأجساد.
12. الجهاد في سبيل الله هو المعيار العملي لصدق الإيمان بشرط أن يكون خالصا لله لا لمغنم أو شهرة.
13. لا يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله بيقين لا يعتريه شك.
14. النفاق يظهر في الشك والارتياب أما الإيمان الحق فلا يخالطه تردد.
15. الإسلام يشمل الظاهر من الطاعات أما الإيمان فيشمل الباطن من التصديق والإذعان.
16. القتال لا يكون في سبيل الله إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله؛ لا لأهداف دنيوية.



[2] ذكر هذه الرواية ابن جرير الطبري في تفسيره (تفسير الطبري)، وهي من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا الإسناد منقطع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكنه كثيراً ما يُستأنس به في التفسير.

[3] كتاب الإيمان ص249

[4] جامع المسائل ” (6/221)